

50

الجزء الأول

الجزء الأول

فخير نساء العالمين

الجزء الأول

الجزء الأول

بقلم: أ. عبد الحميد عبد المقصود

رسم: أحمد الشافعي سيد

إشراف: أحمد مصطفى



قَدَّمْنَا فِي قِصَّةِ نَبِيِّ اللَّهِ زَكَرِيَّا عليه السلام جُزْءًا مِنْ قِصَّةِ
مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ ، حَيْثُ نَذَرَتْهَا أُمُّهَا قَبْلَ مِيلَادِهَا
لِعِبَادَةِ اللَّهِ (تَعَالَى) وَخِدْمَةِ بَيْتِهِ الْمُقَدَّسِ ، وَكَيْفَ أَنَّ
الْعُلَمَاءَ قَدْ تَسَابَقُوا لِكِفَالَةِ مَرْيَمَ ، لَكِنْ زَكَرِيَّا عليه السلام
فَازَ مِنْ دُونِهِمْ بِهَذَا الشَّرَفِ الْعَظِيمِ ..

وَكَانَ زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمَحْرَابَ وَجَدَ
عِنْدَهَا رِزْقًا ، فَكَانَ يَسْأَلُهَا : مَنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا الرِّزْقُ ،

وكانت مريم تجيبه بأنه من عند الله ،

الذى يرزق من يشاء بغير حساب ..

فلما رأى زكريا ذلك دعا ربه ، فرزقه ابنة يحيى

عليه السلام برغم أنه كان شيخاً مسنناً ، وبرغم أن زوجته

كانت عاقراً لا تنجب ..

وقد اصطفى الله مريم ، وفضلها على سائر نساء

العالمين ، واختارها لحمل رسالة طاهرة ، وهي

إنجاب عبده ونبيه ورسوله عيسى عليه السلام ..

قال (تعالى) :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ

وطهرك واصطفاكِ على نساء العالمين * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي

لربكِ واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ .

[سورة آل عمران : ٤٣، ٤٤]

يذكر الله (تعالى) أن الملائكة بشرت مريم وهي

في المحراب باصطفاء الله لها ، واختيارها من بين

سائر نساء العالمين ، وأن الله (تعالى) قد

طهرها من الصفات والأخلاق الذميمة ،
وأعطاهما الأخلاق والصفات الجميلة .. وأمرتها
الملائكة بكثرة العبادة والقنوت والخشوع لله ،
وكثرة الركوع والسجود ، لتكون أهلاً لهذه الكرامة
التي اختصها بها على سائر نساء العالمين ، وهي
إنجاب نبيه عيسى عليه السلام بغير أب ، كما سيأتي ذكره ،
ولتقوم بشكر هذه النعمة ، التي أنعم الله بها عليها
دون سائر نساء الأرض ..

فلما بشرتها الملائكة بذلك صارت مريم تكثر من
الصلاة ، حتى تشققت قدمائها ، وصارت تكثر من
السجود والركوع ، والقنوت والخشوع ، وصارت
مريم أشهر عابدة لله (تعالى) في زمانها ..

ثم بشرت الملائكة مريم بأن الله (تعالى) سيهبها
ولداً زكياً ، يكون نبياً كريماً طاهراً ، ويؤيده الله
(تعالى) بالمعجزات ..

وتعجبت مريم من وجود ولد من غير والد ،



لأنها لم يكن لها زوج ، وهي ليست ممن

يتزوجن ، لأن أمها قد وهبتها من قبل لعبادة الله ،
ونذرتها لخدمة بيت المقدس ، فأخبرتها الملائكة
بأن الله (تعالى) قادر على كل شيء ، وهو سبحانه
إذا قضى أمرا ، فإنما يقول له كن فيكون ، فسلمت
مريم أمها لله (تعالى) راضية بأمره ، وعلمت أن
هذا الاختيار لها ، سيكون فيه ابتلاء عظيم لها ، لأن
الناس سيتكلمون فيها ، لأنهم لا يعلمون حقيقة
أمرها ، واصطفاء الله (تعالى) لها ، وإنما سينظرون
إلى ظاهر الحال بغير تدبر ولا تعقل ..

وكانت مريم تغادر محراب الصلاة في بيت
المقدس ، في بعض الأحيان لشأن من شئونها ،
وذات مرة خرجت من المسجد لإحضار بعض الماء ،
فجلست وحدها شرق المسجد ، فبعث الله
(تعالى) إليها الملاك جبريل عليه السلام في صورة رجل ..

وفوجئت مريم بالملاك جبريل يظهر أمامها فجأة

في صورة رجل ، ففرغت منه ، وتعجبت في
نفسها قائلة :

- من أين جاء هذا الرجل ، الذي يقف أمامها ؟ !
فلما نظرت مريم إلى وجه الملاك جبريل الواقف
أمامها في صورة رجل ، تأكدت أنها لم تر هذا الرجل
من قبل ، وأنها لا تعرفه ، ولكن علامات الصلاح
والتقوى كانت بادية على وجه الواقف أمامها ..
ولهذا احتمت مريم في ذات الله ، واستعازت به
من الواقف أمامها قائلة :

﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا .. ﴾

فخاطبها جبريل ﷺ قائلاً :

﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا .. ﴾

اطمأنت مريم إلى أن الواقف أمامها لا يريد بها شراً ،
فهو رسول ربها ، وقد جاء ليهب لها غلاماً زكياً ..
وتذكرت مريم على الفور أنها عذراء لم تتزوج ،

وَلَمْ يَمَسَّهَا إِنْسَانٌ ، فَكَيْفَ تُنْجِبُ ۚ ۱۲

وَلِذَلِكَ قَالَتْ لَجَبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْتَكْرَةً :

﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ

بَغِيًّا ۚ ۱۳ ۞ .

وَرَدَّ عَلَيْهَا جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِلًا :

﴿ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ

وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ۚ ۞ .

قَالَ لَهَا جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) قَدْ وَعَدَ أَنَّهُ
سَيَخْلُقُ مِنْهَا غُلَامًا مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ ، وَأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ سَهْلٌ
عَلَى اللَّهِ (تَعَالَى) وَيَسِيرٌ عَلَيْهِ ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ..

وَأَنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) سَوْفَ يَجْعَلُ خَلْقَ هَذَا الْغُلَامِ آيَةً
لِلنَّاسِ وَمُعْجَزَةً ، تَدُلُّ عَلَى كِمَالِ قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ عَلَى
أَنْوَاعِ الْخَلْقِ ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ سَبَقَ وَخَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ
وَلَا أُمٍّ ، وَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ضُلْعِ آدَمَ ، فَهِيَ مِنْ أَبٍ بِغَيْرِ أُمٍّ ،
وَخَلَقَ بَقِيَّةَ النَّاسِ مِنْ أَبٍ وَأُمٍّ ، وَهِيَ هِيَ ذَا سُبْحَانَهُ



يَخْلُقُ عِيسَى عليه السلام مِنْ أُمِّهِ مَرْيَمَ بِغَيْرِ أَبِي ..

وَأَنَّ هَذَا الْغُلَامَ سَوْفَ يَكُونُ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ ،
يَرْحَمُهُمْ بِهِ ، بِأَن يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ فِي صَغَرِهِ ، وَفِي
كِبَرِهِ ، فِي طُفُولَتِهِ ، وَفِي كَهُولَتِهِ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى
تَوْحِيدِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَن يَخْتَصُّهُ وَحْدَهُ
بِالْعِبَادَةِ ، وَيُنْزِعَهُ عَنِ الشَّرِيكِ وَالزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ ،
وَعَنِ النَّظِيرِ وَالْمِثْلِ .. وَهَذَا أَمْرٌ قَضَاهُ اللَّهُ وَقَدَرَهُ ..

فَلَمَّا انْتَهَى جِبْرِيلُ عليه السلام مِنْ كَلَامِهِ نَفَخَ فِي مَرْيَمَ مِنْ
رُوحِ اللَّهِ (تَعَالَى) فَحَمَلَتْ بِابْنِهَا الَّذِي أَخْبَرَهَا
جِبْرِيلُ بِأَنَّهُ اسْمُهُ سَيَكُونُ الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ..
قَالَ جِبْرِيلُ مُخَاطِبًا مَرْيَمَ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى
بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ
وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

[سورة آل عمران : ٤٥ ، ٤٦]

وَهَكَذَا حَمَلَتْ مَرْيَمُ ابْنَةَ عِمْرَانَ بَوْلَدِهَا عِيسَى ..

ومضت الأيام والشهور .

وظهرت على مريم علامات الحمل ، فبدأت تخشى
كلام الناس ، ولذلك ابتعدت عنهم .

ويقال إن مريم قد حملت بابها عيسى عليه السلام في
نفس الوقت الذي حملت فيه حالتها زوجة زكريا
عليه السلام بأنها يحيى ..

ويقال إن أم يحيى قالت لمريم في أثناء حملها :
- إنى أرى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك ..
أى أن حالة مريم قد رأت فى الصام أن ولدها يحيى
يسجد لعيسى بن مريم ، وهذا يدل على فصل عيسى ..
ومعنى السجود هنا سجود تعظيم وتكريم ، لا سجود
عبادة ، كما سجدت الملائكة لآدم عليه السلام ..

فلما اقترب موعد ميلاد عيسى عليه السلام ، احتلت مريم
بفسها ، وسارت إلى مكان يكثر فيه الشجر والنخل ،
وجلست تستريح تحت نحلة عظيمة الارتفاع ،

وتستطل بطلّها .. وهذا المكان لا يعرفه

الناس ، ولا يقرب منه أحد ..

وهناك شعرت مريم بالآلام الوضع ، وعرفت مريم
أنها سوف تضع المولود الذي بشرها الله (تعالى) به ،
فبدأت تشعر بالحزن ، والخوف من الناس .. هل
سيصدقها الناس إذا قالت لهم إنها حملت بولدها
دون أن يمسسها بشر ؟ هل يصدقون أنها وهي
العبدة الناسكة قد حملت بعيسى عليه السلام ، دون أن
يكون لها زوج ؟ !

وفي هذه اللحظة تمت مريم الموت ، تمت لو أنها
كانت قد ماتت قبل هذا اليوم ، أو أنها لم تخلق
بالمرة ..

قال (تعالى) :

﴿ فَأَحْأَهاَ الْمُحَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي
مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا ﴾ .



وَوَضَعَتْ مَرْيَمُ مَوْلُودَهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ

تَكْذِبْ تَنْتَهَى مِنْ تَمَنِّيْهَا الْمَوْتَ ، حَتَّى نَادَاهَا صَوْتُ
مِنْ تَحْتِهَا ، قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ الْمَلَكُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَالَ
بَعْضُهُمْ إِنَّهُ مَوْلُودُهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ اللَّهُ (تَعَالَى) :

﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ
تَحْتَكَ سَرِيًّا * وَهَزَى إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ
عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا
تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا
فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا ﴾ . [سورة مريم : ٢٤، ٢٥، ٢٦]

أَمَرَهَا الصَّوْتُ أَنْ تَكْفَ عَنْ حُزْنِهَا ، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ
جَعَلَ تَحْتَهَا نَهْرًا تَشْرَبُ مِنْهُ ، وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَهْزُ
جِذْعَ النَّخْلَةِ ، فَتَسْقُطَ عَلَيْهَا ثَمَارُ الْبَلَحِ الرُّطْبِ
الشَّهِيَّةِ ، فَتَأْكُلَ مِنْهَا ، وَتَشْرَبَ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي أَجْرَاهُ
اللَّهُ لَهَا ، كَمَا أَمَرَهَا أَنْ تَمْتَلِيَ بِالْفَرَحِ وَالسَّكِينَةِ ،
وَلَا تُفَكِّرَ فِي شَيْءٍ ، فَإِذَا رَأَتْ أَحَدًا مِنَ الْبَشَرِ ، فَلْتَقُلْ
لَهُ إِنَّهَا نَذَرَتْ أَنْ تَصُومَ لِلَّهِ عَنِ الْكَلَامِ ،



وَأَنَّهَا لَنْ تَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسَانًا ..

ومدّت مريم يدها إلى النخلة ، فهرتها فتساقط
عليها بلح رطب شهى الطعم ، فأكلت وشربت من
النهر تحتها ، ثم حمدت الله وشكرته على هذا
الرزق الطيب الذي ساقه إليها دون مجهود أو عناء ،
وعلى هذا الماء العذب ، الذي أجراه تحت قدميها ..
وهكذا أخذت مريم تاكل وتشرب وترضع طفلها
المعجزة عيسى عليه السلام حتى انقضت أيام نفاسها ،
واستردت عافيتها ، فحملت طفلها ، وسارت به
قاصدة بيت المقدس .. فلما رآها الناس وهي تحمل
الطفل استنكروا أن تنجب مريم وهي العذراء طفلا
من غير أن تكون قد أخطأت وآتت فعلا شائنا ..
ولهذا قالوا لها : ﴿ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ ..
(يَتَبَعَ)

الكتاب التالي

عيسى عليه السلام يكلم الناس في المهد

الحرس على الفتنة

رقم الإصدار : ٢١٢٢
الترقيم الدولي : ٢ - ٢٨١ - ٢٧٧